التعليم تنظيم للتعلم

عبد الوهاب حسن العيسى
كلية الآداب ـ جامعة بغداد

تمهيد :

لعل من اهم ما تدعو اليه التربية اليوم هو ان تجعل من المدرسة الاداة الفعالة للتغيير الاجتماعي الذي نخطط له لكي يتحول مجتمعنا من حالة التخلف التي من بعض مظاهرها عدم الافادة من القوى البشرية فيه الى التقدم الذي من ابرز مظاهره التخطيط العلمي لاستثمار جميع الموارد والقوى فيه بما فيها الثروة البشرية وجعلها في خدمة الانسان وبناء مجتمعه .

ان هذا الهدف الاجتماعي للتربية هو من بعض ما تدعو اليه الاشتراكية العلمية التي تعتبر التربية عملية بناء المجتمع عن طريق اعادة بناء شخصية افراده وفق مواصفات وسمات معينة وحسب اهداف مستقبلية منشودة .

ان مجتمعنا العربي الذي عانى كثيرا من التخلف بسبب التجزئة والتبعية تكون التربية ـ والمدرسة من اهم وسائلها ـ الوسيلة الفعالة بما فيها من موضوعات دراسية وفعاليات للتخلص من التخلف عندما تجعل المدرسة طلابها يرفضون التجزئة ويحاربون التبعية ويدعون للتحرر ويسعى كل منهم لتحقيق اهداف امته ورسالتها الخالدة .

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو .. كيف يتسنى للتربية ، وهي مجموعة من الاتجاهات الفكرية والعقلية ان تكون وسيلة للتطور الاجتماعي المنشود ؟

انه من السهل ان يسطر اي تربوي مجموعة من الاجابات عن هذا التساؤل لكن التربية العملية الواقعية تطمح الى اكثر من مجرد اجابات نظرية على ورق ذلك لان التربية الحقة هي استثمار الفرد في خدمة مجتمعه « وذلك لا يكون الا بخلق الانسان العربي الجديد ليس من خلال المدرسة والمعهد والجامعة فقط بل من خلال التأثير المباشر اليومي في الحياة اليومية للجماهير .

وهذا يعني ان النظام التربوي يجب ان يقبل على عملية تغيير اساسية داخلية تفتح جدران مؤسساته وتجدد في مناهجه وفعالياته وتعيد النظر جذريا في طبيعة الحياة التربوية وفي طريقة تأهيل الجهاز التربوي بحيث يخضع الحياة التربوية لقانون العلاقة العام بين التربية والسياسة » (١ص١٩).
وبعبارة ادق ان نجعل اهدافنا الاجتماعية التي نطمح في تحقيقها محور الفعاليات التربوية لبناء مواطن جديد بارادة جديدة وعقلية جديدة يستوعب اماني امته واهدافها ويعمل جاهدا لتحقيقها فالتربية اذن عملية اعادة بناء الشخصية وفق اسس اجتماعية معينة ، وبهذا تصبح التربية في خدمة المجتمع وتطوره .

تحديد بعض المفاهيم :

المعنى الذي لازم التربية عبر العصور ، رغم كونها عملية تخص زمانا معينا ومكانا معينا لافراد معينين ، بأنها عملية اعداد الفرد لحياة الجماعة . فقد اعتبرت التربية ، منذ العصور الاولى ، ضرورة اجتماعية لتعد الفرد لطبيعة الحياة التي تتطلبها الجماعة التي يعيش بينها ، فكانت ضرورة اجتماعية وكانت وسائلها محدودة بما تحددها الجماعة اما اليوم ونحن في الثلث الاخير من القرن العشرين عصر العلم والتكنولوجيا وتعقد الحياة ، اصبح للتربية وظيفة اخرى ، بانها وسيلة اجتماعية ليس لاعداد الفرد لحياة الجماعة فقط بل انها وسيلة لتطوير المجتمع وتقدمه وتخليصه من التخلف من خلال اعادة بناء شخصية الافراد .

ان كلمة التربية* لفظا تعني تبليغ الشيء الى كماله شيئا وبما ان المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية المسؤولة عن العملية التربوية فالتربية المدرسية اذن تعني ايصال التلاميذ الى مستوى من الكمال من خلال الفعاليات المدرسية ـ المنهجية والنشاطات الاضافية ـ يتشربون اساليب التكيف الاجتماعي المقبول ، ويكتسبون انماط سلوكية تتمثل في التفاعل الاجتماعي الجيد بما فيه من خبرات ومعارف وقيم وعقائد واتجاهات .

وبما ان مجتمعنا اليوم يسير نحو التغيير والتحول الاشتراكي فيجب ان تكسر التربية طابعها التقليدي القديم الذي هو مجرد اعداد الفرد لحياة الجماعة ، ذلك لانه اذا كان مجتمع تلك الجماعة متخلفا فالتربية تعني عندئذ مجرد عملية اعداد الفرد لتلك الحياة الاجتماعية المتخلفة الجامدة ... وهذا لا يتفق مع اهداف المجتمع الاشتراكي الذي ينظر الى التربية بانها عملية اجتماعية تقدمية انسانية تعد الفرد اعدادا سليما لمجتمع متطور افضل وذلك بتنمية ما يملك الفرد من قابليات واستعدادات لاقصى ما يمكن ان تصل اليه من نمو وذلك عندما تزود المدرسة ـ في المجتمع الاشتراكي ـ طلابها بطاقات خلاقة مبدعة تساعدهم لتطوير مجتمعهم نحو الافضل .

اما الاداة الفعالة التي تحقق لنا هذا التغيير الاجتماعي من خلال تنفيذ المنهج فانه المعلم الذي يتخطى اثره حدود وطنه الجغرافية بما ينشر من آراه سليمة اصيلة ولذا يعتبره فلاسفة التربية وعلماء الاجتماع الاداة البشرية الفعالة لاي تغيير اجتماعي .

---

* ـ قالت العرب ... ربا ... يربو .. اي زاد ونما ، ومنها جاءت كلمة الربا ، وهي الربح الفاحش غير المشروع ... وقالوا ربى ... بمعنى نشأ وترعرع وبلغ الكمال شيئا فشيئا .

ان نجاح المعلم في مهنته يعني بلـوغ العملية التربويـة اهدافها نظرا لاتصاله الوثيق المباشر بالطلاب ، فهو من خلال تعامله معهم وتعليمهـم ينمي قابلياتهم وقدراتهم وهـذا هو دوره الفعال في تغيير بناء شخصية الطالب .. فهو ـ المعلم ـ الاداة الواعية والمنفذة في العملية التربوية كي تبلغ التربيـة اهدافها الاجتماعية .

ثانيا ـ التعليم :

هو مجموع الجهود المنظمة التي تبذل داخل المدرسة وخارجها من قبل فرد او جماعة بالاستعانة بأدوات واساليب متعددة كي يكتسب الفرد المتعلـم كل ما تستهدفه المدرسة من تزويد الطالب، سواء كان ذلك الاكتساب على شكل معرفة حقائق علمية ، او انماط سلوكية ، اساليب التعامل الاجتماعي لتقوده التكييف احسن او اكتساب اتجاهات عقلية وخصائص وسمات وجدانية مقبولة والتعليم في التربية الاشتراكية ـ وهو وسيلتنا لتحقيق التحولات الاشتراكية في مجتمعنا ـ ليس مجرد خزن معلومات وحقائق معرفية في ذهـن الطـالب بل هو ضرورة انسانية حيث يتعرف الفرد المتعلم دوره وواجبه وما ينتظر منه في المجتمع الاشتراكي الذي يعيش متعاونا مع المواطنين الآخرين لانجـاح الاهداف الاجتماعية التي يسعى اليها مجتمعه من هنـا تصبـح الخبرات التي يكتسبها الفرد من خلال العملية التدريسية وسيلة لاغايـة .

ثالثا ـ التعلم :

وهو الاثر الذي تتركه فعالية ما يقوم بها الفرد ليكتسب خبرة جديدة تغير من سلوكه ، ويكون هذا التغيير ظاهرا بشكل من الاشكال اما على شكل تحسن ادائه او حسن تكيفه او دقة واتقان في ما يقوم بـه من فعاليات ... وبهذا يعرف علماء النفس التعلم « بانه تغيير في السلوك نتيجة اكتساب خبرة » فكل ما يكتسبه الفرد من خبرة تؤثر في سلوكه يعتبر تعلما . والفرد يتعلـم

ما يتعلمه ليحقق غايات ويشبع حاجات ويرضي دوافعه ... ولذلك قال علماء النفس « لا تعلم بدون دافع » والتعلم ظاهرة سلوكية تفسرها قوانين ونظريات* ،(٢ ص ٢٦٢) بعضها يبين كيف يحدث التعلم وبعض هذه النظريات والقوانين توضح لماذا يحدث التعلم ، اي لماذا يتعلم الفرد ما يراد منه تعلمه .

ماهو التنظيم وما خصائص التنظيم الجيد

التنظيم عملية توضيح الاسس والاساليب التي يتم بموجبها الحصول على الخبرات واكتسابها يؤكد رجال التربية بأن لعملية التنظيم جانبين ، الجانب الاول هو جانب نظري يتعلق بكيفية اختيار الموضوعات وانتقاء الخبرات التي تحقق الاهداف .

اما الجانب الآخر فهو جانب عملي يتعلق بكيفية تبسيط هذه المعلومات والحقائق المنتقاة وعرضها بشكل يضمن اكتسابها لتصبح من خبرات الفرد المتعلم وجزءا من تكوينه النفسي .

فالتنظيم اذن انتقاء خبرات هادفة وتهيأة الظروف الملائمة لعملية اكتسابها . لذا فالتنظيم الجيد الهادف هو الخطوة الاساسية لتحقيق الاهداف التربوية الاجتماعية وهنا لابد لنا ان نتعرف على العوامل التي تتظافر لجعل التنظيم جيدا .

هناك عو امل تتعلق بطبيعة الاهداف التربوية التي منها تستوحي صلاحية الحقائق المعرفية والخبرات التي نختارها لتتضمنها العملية التربوية في مناهجها . كما ان هذا يتعلق بالفلسفة التربوية الاجتماعية السائدة في المجتمع والتي

---

* ـ هناك ثلاث نظريات اساسية للتعلم هي :
١ ـ التعلم الشرطي . ٢ ـ التعليم بالمحاولة والخطأ . ٣ ـ التعلم بالاستبصار ولكل نظرية قوانين تبين كيف ولماذا يحدث التعلم .

بموجبها يتم اختيار الموضوعات الدراسية التي عند تعلم الفرد لها تتكـــون ملامح شخصيته وتظهر طبيعة تكوينه النفسي • وهناك عوامل تتعلق بطبيعـة استعدادات الطالب والمرحلة الدراسية التي هو فيها وملائمـــة تلك الخبرات لمتطلبات تكوينه النفسي وطبيعة قدراته النفسية التي يملكها • فالتنظيم الجيد هو ما يراعي كل هذه العوامل التي تتعلق بالطالب وبالخبرات المعرفية والاهداف التربويـــة والاجتماعية •

العلاقة بين التنظيم وعمليتي التعليم والتعلم

يوضح علم النفس التربوي ، الذي يهتم بالعملية التربوية وبخاصة داخل غرفة الدرس الاسس التي يجب ان تتبع في تعليم الطفل والاهتمام بالظروف المحيطة به ليس لمجرد مساعدته في اكتساب الخبرات وتحسن ادائه (اي تعلمه) ••• بل انما ــ وهو الاهم ــ بكيفية استخدام الاسس النفســـية في تنمية مواهب الطفل وقابلياته من خلال الخبرات التي يكتسبها لبناء شخصيته •

هذه الحقيقة التي يؤكدها علماء النفس ، تحتم على المعلـــم ان يعي الاساليب الجيدة في كيفية التعامل مع الاطفال لتنمية قابلياتهم وقدراتهـــم والكشف عن مواهبهم ليضمن لهم حسن التكيف ويحقق افضل تعلـــم كما ويقيهم ، من خلال تعامله الجيد معهم ، مـــن الوقـــوع في الانحرافـــات والاضطرابات •

ان من اهم ما يعانيه معلم الصفوف الاولى في المرحلة الابتدائية ان طلابه ــ قبل دخولهم المدرسة ــ قد اكتسبوا بعض الخبرات والمعارف الخاطئـــة وبصورة غير صحيحة وهي لا تتعارض فقط مع ما تتضمنه المناهج من خبرات وحقائق معرفية بل ان بعضها يعيق الطفل عن اكتساب ما يراد منه اكتســـابه فتحول دون نمو قدراته وتعطيل نمو شخصيته • ولذلك يعتبر مـــن اهـــم

واجبات هذا المعلم هو اعادة تنظيم خبرات طلابه ليس عن طريق التراكم الكمي للمعلومات بل عن طريق تعويد الطالب طريقة جديدة في التفكير لتعيد تعلمه اي ان يتعلم الطفل كيف يتعلم ما ينقذه من الخبرات الخاطئة ليكتسب الخبرات الصحيحة السليمة الهادفة .

هذا هو الفرق بين الاسلوب التقليدي في التدريس المبني على التحفيظ واسترجاع المعلومات وبين الاسلوب العلمي الذي يجعل من الخبرة التي يكتسبها الطالب موكدا ذاته ومنميا شخصيته لتجعله قادرا على مواجهة المشكلات والمواقف .

فالتنظيم الجيد للخبرات التي يكتسبها الطالب لا يعني خزن المعلومات وتكوينها بل يعني تنمية قدرات الطالب من خلال الخبرات لتساعده على اكتساب اتجاهات جديدة ، وقابلية جديدة في تفسير الظواهر المحيطة به .

بهذا الشكل من التنظيم الجيد للخبرات تزود المدرسة طلابها بالطاقات الخلاقة المبدعة التي تمكنه من حسن التكيف وتحسن ادائه كما تساعده في ان يسهم في تطوير مجتمعه وتقدمه بعد ان جعلت منه الخبرات الجديدة بالطريقة التي اكتسبها انسانا آخر .

وهنا نتسائل كيف يخدم التنظيم الجيد هذا عمليتى التعليم والتعلم ؟

لاحظنا مما سبق ان التنظيم الجيد هو الذي يقود لتعلم افضل ، والتعلم الافضل هو عندما يكتسب الفرد ما يراد منه اكتسابه بجهد اقل ، يبذله هو ومن يعلمه وتبقى معه امدا اطول وله اثر ابعد .

هذه الحقيقة ، التي لمسناها من الصفحات السابقة كانت مدار ابحاث جماعة من العلماء اشتغلوا بما يطلق عليه سيكولوجية التعلم ـ اي (دراسة العوامل التي تؤثر على عمليتى التعليم والتعلم وظروفهما وطبيعة الفرد المتعلم)

ـ ولقد ادت بهم ابحاثهم وتجاربهم هذه للوصول الى ظاهرة اطلقوا عليهـا باتتقال اثر التدريب او التعلم وهي ان الخبرة التي يكتسبها الفرد تؤثر في اكتساب خبرة جديدة وهذا التأثير يكون سلبا او ايجابا .

فالاثر الايجابي للخبرة يظهر عندما تسهم الخبرة المكتسبة في تسـهيل اكتساب خبرة جديدة او تثبيت مهارة او خبرة سابقة ... اما الاثر السـلبي فهو عندما تمحو الخبرة المكتسبة خبرة سابقة او تعيق اكتساب خبرة جديدة .

ونتيجة لكثير من التجارب التي اجراها العلماء على هـذه الظاهـرة توصلوا الى شـروط اطلقوا عليهـا بشـروط انتقال اثر التعلـم او التدريب . (٢ ص ٢٨٨) .

وهـي :ـ

اولا ـ شروط موضوعية وهى ما يتعلق بظروف التعليم وطبيعـة الخبرة او المهارة المراد اكتسابها والطريقة التي تتبع في عرض او اكتساب الخبرة .

ثانيا ـ شروط ذاتية وهي ما له علاقة بالخصائص والصفـات والقـدرات والاستعدادات التي يكون عليها الفرد المتعلم .

ومن الشروط الموضوعية ، ان اثر الخبرة يكون سلبا او ايجابا عندمـا يكون هناك تشابه بين الخبرتين السابقة واللاحقة وهذا التشابه يكـون بين محتويات وعناصر الخبرتين او المهارتين او المادتين .

ويظهر هذا عندما يقوم المعلم بتعليم طلابه عملية الجمـع في دروس الرياضيات ، فان هذا الطالب الذي اتقـن عملية الجمع ويقوم بالعملية بسهولة يسهل عليه فهم عملية الضرب لان الضرب هو عملية جمع مضاعفة ... فهـذا التشابه بين طبيعة الخبرتين او الفعاليتين ادى الى الاثر الايجابي لتعلم الخبرة الاولى على الخبرة الثانية .

كما ان هناك اثراً للخبرة الاولى على الخبرة التالية عندما تتشابه الخبرتان بالطريقة التي تكتسب كل منهما وبالمبادىء والاسس التي تستخدم لتعليمهما ... وهذا الاثر كثيرا ما يحدث في تعلم اللغات التي تتشابه طرق تعلمها ، فعندما يتقن لغة ما فان هذا الاتقان يساعده في تعلم لغة اخرى ذات الاصول المتشابهة باللغة الاولى ....

ان معرفة الشروط الموضوعية جعل علماء النفس يطلقون الحقيقة التالية :

ان تشابه العناصر والمحتويات والطرق والمبادىء الاساسية للخبرات يساعد في اكتساب الخبرات الجديدة ... أي حدوث التعلم .

وهذا ما نحن بصدده من ان حسن تنظيم الخبرة يقود لافضل تعلم .

اما العوامل الذاتية ، وهي ما يتعلق بقابليات الفرد المتعلم واستعداداته وتهيؤه نحو الخبرة الجديدة .. فمن اهمها قدرات الفرد العقلية ، فصاحب القدرة العقلية العالية يعني انه يملك قدرة على الادراك اي قدرة على تحليل العوامل المحيطة به والاستنتاج منها او الاستدلال منها ...

فالطالب الذي يملك قدرة عقلية عالية ويكتسب خبرة ما فانه يحسن استخدام هذه الخبرة في مواجهة المواقف الجديدة .. اي التكيف لها ... وهذا التكيف ، المواجهة للمواقف الجديدة ، كان نتيجة ادراك الطالب بل سرعة ادراكه للعناصر التي يتضمنها الموقف الجديد باسترجاعه بل سرعة استرجاع الخبرات السابقة واخذه منها ما يساعده للتكيف للمواقف الجديدة ... وهذا الظاهرة اطلق عليها علماء مدرسة الكشتالت* بالتعلم عن طريق الاستبصار او التبصر .

---

* ـ الكشتالت : احدى مدارس علم النفس نشأت في المانيا وتعنى كلمة الكشتالت الكل او الهيئة .

وهو ادراك الفرد للعلاقة بين عناصر الموقف الذي يتعرض له يساعده هذا الادراك لحسن التكيف لهذا الموقف ومواجهته ... فالطالب الذي يتمتع بقدرات عقلية عالية تؤهله قدراته هذه لسرعة الادراك اكثر من الطالب الذي لا يتمتع بهذه الخصلة ويؤكد علماء النفس ان هناك علاقة جد قوية بين مقدرة الفرد على الادراك وحالته الانفعالية ذلك لان الفرد الذي يتعرض لحالة انفعالية حادة قوية تعطل هذه الحالة الانفعالية قدراته .

الان ما موقف المعلم من هذه الظاهرة ـ (اي ظاهرة انتقال اثر التدريب او التعلم) وكيف يفيد منها في عملية تنظيم التعلم .

من الامور المسلم بها انه لا بد ان يكون المعلم ملما الماما كافيا بالشروط الذاتية والموضوعية لظاهرة انتقال اثر التعلم ثم يراعى الجانب التطبيقي لهذه الشروط لا سيما بعد احاطته بطبيعة المادة او الخبرة المراد اكتسابها وبطريقة الفرد المتعلم ، فيربط الخبرات المكتسبة لتصبح ذات اثر ايجابي في خبرات قادمة ، بحياة الطالب اليومية حيث يبين له كيفية استخدامها اذا ما تعرض لموقف ما وعلى سبيل المثال ما يأتي :

حدثني احد الزملاء المعلمين في المدرسة الابتدائية وقال انه حاول محاولات متعددة ليمنع طلابه عن اكل الخس الذي يباع امام باب المدرسة لانه غير مغسول وغير معقم وغير نظيف ... ولكن شاهد معظم الطلاب يمتنعون عن ذلك اذا كان هو حاضرا ومراقبا لهم ولكنهم في غيابه يعودون لذلك ... ففكر بطريقة غير النصح والارشاد والمواعظ التي لم تجد شيئا ليجعل طلابه يكفون عن اكل الخس بدون تعقيم وغسل جيد .

فقال : استعرت مجهرا من المدرسة الثانوية القريبة من مدرستنا وفي درس العلوم رفعت ورقة الخس امام طلابي وقلت لهم انظروا اليها انكم لا تشاهدون ما بها ، انها كما تتصورون نظيفة ولكن الان لنضعها تحت المجهر وليقدم كل واحد منكم ليصف لنا ما يشاهده على هذه الورقة .

وبعد ان شاهد الطلبة الكائنات المجهرية المتحركة على ورقة الخس يقول زميلنا المعلم .. لم اشاهد طالبا بعد ذلك اليوم يشتري من ذلك البائع ... اليس هذا درسا ايجابيا في انتقال اثر التعلم التطبيقي .

لنتسائل الان ... كم من الحقائق التي نستطيع ان نعلمها طلبتنا بصورة عملية كما فعل زميلنا المعلم .

اليست هذه الطريقة التكشيفية التي تؤكدها التربية الحديثة والتي تعتمد النشاط الذاتي لفعالية الطالب لاكتساب الخبرات المعرفية ... اليست ابعد اثرا في تعلم الطالب ؟ لنحاول ان نفكر بتلك الخبرات التي يمكن اكتسابها بمثل هذه الطريقة او بطرق اخرى مشابهة لهـــا .

مثال آخـر : انظر (٢ ص ٢٩١)

اراد احد المعلمين ان يعلم طلابه حسن الترتيب والنظافة في دفاتر حـل التمارين في درس الرياضيات . باستخدامه طريقتين مختلفتين .... لجأ الى المعاملة القاسية والتأنيب والعقاب مع احدى الشعب لكنه استخدم اسلـوب المناقشة والفهم والتشجيع والمدح والمكافأة مع شعبة اخرى في نفس المدرسة . وجد في نهاية العام الدراسي ان طلاب الشعبتين قد حققوا قدرا جيدا مـــن النظام والترتيب في دفاتر تمارين الحساب ، لكنه لاحظ ان طلاب الشـــعبة الاولى ، الذين استعمل معهم القسوة والعقاب قد اقتصر تعلمهم للنظافـة في دفاتر التمارين فقط بينما وجد طلاب الشعبة الاخرى قد انتقل اثر تعلمهـم للتنظيم والترتيب والنظافة الى دفاتر الدروس الاخـرى حتى انهم اخـــذوا ينظمون كتبهم ودفاترهم داخـل الصف وفي البيت واصبحت صفه النظافـــة والترتيب من بعض ما يميز طلاب هذه الشعبة عن الطلاب الاخرين في المدرسة .

من هذين المثالين يمكن ان نستنتج الحقيقة التي طالما اكدها علماء النفس وهي ان التعليم الجيد اذا اشبع في الفرد حاجة او ارضى دافعا فان اثره يكون ابعـد • ولذا علينا ان نذكر المعلم بان يراعي ـ عند تقديمه الخبرات والمهارات المعرفية ـ اي عند قيامه بمالتعليم ، ـ ان يراعي اشباع حاجات طلابه ، كما ان الطالب الذي يشعر بضرورة الخبرة واهميتها في حياته اليومية فانه يمكنـه الافادة منها فيسهل عليه اكتسابها • وهذا جانب من تنظيم التعلم •

ـ اهدافنـا الاجتماعيـة التي تحققها المدرسـة ـ

قد يكون من معاد القول ان للمدرسة الحديثة عدة اهداف يمكن اجمالها في تعلم الفرد كيف يتعلم ••• والا يقتصر هذا التعلم على الفترة المحـدودة داخل المدرسة فقط بل يستمر في اكتساب الخبرات ••• اي مواصلة التعلم •

ويعتمد تحقيق هذا الهدف العام للمدرسة على ما تقدمه من خبرات خلال فترة الدراسـة ••••

ويؤكد رجال التربية على المدرسة التي تريد ان تحقق اهدافها لابد ان تكون للموضوعات الدراسية نوعين من الاهداف ، اهدافا قريبة واهدافـا بعيـدة •

تتمثل الاهداف القريبة للمدرسة عندما تضمن موضوعاتها الدراسـية للفرد صحة في جسمه وعقله وخلقه ، فالخبرات التي تعرضها هذه الموضوعات يكتسب منها الفرد ما يحفظ صحته ويلم بكيفية عمل اعضاء جسمه وكيفية المحافظة عليها ••••• وكذلك تضمن له الموضوعات الدراسية ما ينمي قدراته العقلية ليس عن طريق الحفظ والتخزين لهذه الحقائق المعرفية بل عن طريق كيفية استخدامها في حياته اليومية لمواجهة المواقف التي يتعرض لها •••• كما تعلمه هذه الموضوعات الدراسية كيف يكتسب الاتجاهـات النفسـية

والاجتماعية التي تمكنه من حسن التعامل الاجتماعي ان هذه الاهداف القريبة المباشرة التي تسعى الموضوعات الدراسية لتحقيقها تقـــود بالتالي لتحقيق الاهداف البعيدة فيكون مواطنا صالحا يخدم امته والانسانية ... فالمدرسة عن طريق هذه الحقائق المعرفية التي تتضمنها المناهج تســـعى لان تنمي في الفرد المسؤولية الاجتماعية ، وليعرف دوره في المجتمع الذي يعيش فيه ليقوم بـــه ، من موقع عمله ومهنته ، على افضل شكل .

يقول احد المربين بعد خبرة عشرة سنوات قضاها في مساعدة الفتيـــات الجانحات في المدرسة الاصلاحية « اذا استطاع الطفل النجاح في المدرسة فانه سيقابل فرصا ممتازة للنجاح في الحياة ... واذا فشل في اية مرحلة من مراحل عمره التربوي فان فرص النجاح في الحياة تنقص امامه » (٤ ص ١٨) .

وطبعا ستتناقص فرص النجاح امام مثل هذا الطفل اذا لم يجـــد مرشدا يقيل عثرته وموجها يبين له كيف يتخطى الفشل ويتحول الى النجاح .

ويبين هذا المربي كيفية انقاذ مثل هذا الطفل بقوله :

« ان الطالب لا ينجح بوجـــه عـــام مالم يستطع بطريقـــة ما ان يجرب النجـــــاح »

وكأن هذا المربي ، من خبرته ، يوضح لنا من كلامه هذا ما يجب ان يقوم به المعلم داخل المدرسة وخارجها فيما يستطيع عمله لمثل هذا الطالب

ان المعلم الذي يؤمن بالاساليب التربوية الحديثة ويؤمن بالطفـــل بأعتباره الثروة القومية التي يجب ان يرعاها ويحاول استثمار طاقاتها وتوجيهها يسعى للكشف عما يملك من طاقات ومواهب ، او يبحث فيما يعيقه عن النجاح ويثير دوافعه ومحفزاته اي يتيح الفرصة امام هذا الطالب لكي ينجح في مجال مـــا من جوانب حياتـــه .....

هذا هو دور المعلم في العملية التربوية لطلابه ، ولذا اعتبرته التربية الحجر الاساس في العملية التربوية ولا يمكن الاستغناء عنه مهما تعددت تقنيات التربية ووسائلها السمعية والبصرية ، فالمعلم باتجاهاته الانسانية وحسن تعامله وتشجيعه وتحفيزه طلابه يمكنه ان يحول فشلهم الى نجاح .. وكما ان الفشل يولد الفشل وله اثره السيء على التحصيل العلمى للطالب فان اثر النجاح اكثر فعالية في المحافظة على المستوى الذي توصل اليه الطالب . ولذا تصبح مهمة المعلم في المدرسة بالاضافة الى تنظيم الخبرات وتقديمها للطلاب فان مهمته عند عرضه لهذه الخبرات عليه ان يقي طلابه ، وهم في محاولتهم ذلك الشعور بالفشل الى فعالية منتجة يشعر الطالب منها بلذة النجا حفيقوده النجاح الى نجاح اكبر ... واكبر نجاح يكتسبه الطالب من المدرسة اذا استطاعت المدرسة ، بفعالياتها المنهجية الدراسية والمنهجية الخارجية ، ان تكسب طلابها مهارات يدوية ترضي ثقته بنفسه وتنمي كفاءته العقلية ، ليحسن مواجهة الموقف والتكيف السليم ، وان يملك اتجاهات اجتماعية ونفسية ايجابية نحو نفسه والعالم المحيط به فيملك ارادة الخير والبناء والتعمير ويكون قادرا على تفسير الظواهر التي تحيط به تفسيرا علميا جيدا .

« تنظيم العملية التدريسية داخل الصف »

كل معلم مارس مهنة التدريس يستطيع ان يذكر لنا بأن هنالك اربعة عناصر اساسية في العملية التدريسية داخل غرف الدرس . فهناك طالب يتعلم وهو محور العملية التربوية ، وخبرات او موضوعات يراد تعلمها واكتسابها ، ومعلم يقوم بعملية التعليم وطريقة او اسلوب يتبعها المعلم في تقديم تلك الخبرات وعرض تلك الموضوعات للطالب المتعلم .

ولكي تتم العملية التدريسية على اكمل وجه هناك شروط واسس خاصة بكل عنصر من هذه العناصر الاربع لابد من توفرهـــا حتى تحقق العمليـــة التدريسية هدفها من حصول الفرد المتعلم على افضل تعلم ... وهذا هـــو المقصود بتنظيم العملية التدريسية داخل الصف .

اولا : ما يخص الطالب ، وهو الفرد المتعلم .

الطالب الذي فتحت المدرسة من اجله ، فوضع منهج له وكتاب وأعد له معلم ، تعتبره التربية الحديثة محور العملية التربوية ولذلك لابد من مراعـاة امور كثيرة واهمها ... الاهتمام باستعداداته الجسمية والعقلية والنفسية .

المقصود بالاستعداد الجسمي للطالب داخل الصف عند العملية التدريسية هو ان يراعى المعلم حالة وسلامة اعضاء الطالب وحواسه التـــي تشـــترك في اكتساب الخبرة ... سلامة السمع والبصر ، نضج العضلاب الدقيقة في اصابعه والتي لها اثرها في عملية الكتابة وقيام اعضائه الاخرى بوظيفتها بصورة جيدة لئلا تعيقه عن التركيز والفهم والانتباه والادراك ... ان معرفة المعلم بحالـة قدره الطلاب على الابصار يتوقف عليها موقع جلوس الطالب في الصف مـن حيث قربه وبعده عن السبورة ، حسب حالة قصر او بعد النظر او سلامته عند الطالب وكذلك اذا ما عرف المعلم بان هناك طالبا ثقيل السمع فيجلسه فـي موضع مناسب قريب .

اما الاستعداد العقلي فهو ما يتعلق بطبيعة قدرات الطالب العقلية مـــن فهم وادراك وحفظ وتركيز وانتباه واستدلال ومقارنة وربط ... ولما كان التعلم يعتمد اعتمادا كليا على ما يتمتع به الفرد من هذه القدرات فلا بد أن يتعرف المعلم على موضع كل طالب بالنسبة الى رفاق صفه من حيث سرعـة الفهم او بطئه ، متفوق على اقرانه او متخلف ، وما هي القدرات الخاصة التي يتمايز بها كل طالب عن الآخر او ما يطلق عليـــه علمـــاء النفس ، بالفروق

الفردية ، فعلى المعلم ، عند تقديمه موضوعا دراسيا ما ، كي يسهل على طلابه فهم وادراك وتعلم ذلك الموضوع واكتساب ما فيه من خبرات لابد ان يتعرف على المستوى العام لقدرات طلابه العقلية بل على طبيعة القدرات العقلية لكل طالب ، حتى يختار ما يناسب تلك القدرات وذلك ليقودهم للفهم واكتساب الخبرات وهذا طبعا ـ اى الفهم والادراك ـ يشعر الطالب بالنجاح وتحقيقه له.

اما موقف المعلم من الطالب المتخلف من اقرانه فعليه ان يتعرف على طبيعة هذا التخلف فالتخلف عن الفهم نتيجة عوامل كثيرة متعددة ، ان تشخيص المعلم لسبب تخلف الطالب عن الفهم يسهل له عملية رفع ذلك السبب ، فأن كان السبب اجتماعيا او نفسيا او يحتاج لجهد اكثر او ان كان بسبب عدم ونضج بعض القابليات لتأخر النمو فيسعى لتنميتها بفتح الفرص المناسبة امامها وجعله في صفوف خاصة او برامج خاصة غير اوقات الدراسة الاعتيادية وهذا ما يطلق عليه بالرؤيا الجديدة لمبدأ تكافؤ الفرص المبدأ الذي تدعو اليه التربية الحديثة ـ وهو ان يصرف من الجهد والوقت مع كل طالب حسب ما يملك من قابليات واستعدادات حتى تنمو لاقصى ما يمكنها من نمو ... والمعلم الناجح هو الذي من خلال تعامله مع طلابه يستطيع تقويم قابليات طلابه ومن ثم يضع الفرص المناسبة امام كل منها لنموها ورعايتها .

اما ما يختص بالاستعداد النفسي فان رجال التربية قد اوضحوا لنا جانبين من الاستعداد النفسي عند الطالب المتعلم يؤثران على طبيعة تعلمه واكتسابه الخبرات داخل الصف .

فهناك جانب يختص بالنضج الانفعالي الذي يجعل الطالب يملك اتجاهات وعواطف وميول تساعده او تدفعه نحو اكتساب الخبرات ... والمعلم الناجح عند تدريسه يعتمد هذه الدوافع والاستعدادات والميول والاتجاهات فيما يقدم من حقائق معرفية ليرضيها ويشبعها وهذا لا يساعد الطالب فقط على التعلم والفهم بل ايضا يثبت تلك الحقائق والخبرات التي اكتسبها .

وهناك جانب سلبي في الاستعدادات النفسية للطالب وهي ذلك النوع من الاتجاهات والميول التي يملكها الطالب فتحول بينه وبين ما يتعلم ... ان معرفة المعلم بهذا النوع من الاتجاهات النفسية عند طلابه تجعله يتهيأ لها عند عرضه الحقائق والخبرات ويستخدم اساليب تخلصهم من هذا الاتجاه ... او تبطل مفعولها .

ثانيا ـ مايخص المعلم :

المعلم هو الاداة البشرية في العملية التربوية لابد ان يتصف بمزايا وخصائص معينة لتمكنه من تحقيق الاهداف التربوية والاجتماعية المنشودة . ومن اهم هذه الخصائص .

١ ـ خصائص ومزايا جسمية وصحية .. سلامة البدن والمظهر المقبول الخالي مما يعيقه عن اداء مهمته .

٢ ـ خصائص ومزايا عقلية تؤهله لحسن الادراك والتبصر مما يساعده لادراك حاجات طلابه ليحسن التعامل معهم .

٣ ـ خصائص تتعلق بالاعداد المهني والكفاءة العلمية والالمام بالاساليب التدريسية الجيدة فيكون مبدعا مبتكرا يعرف كيف يثير اولاع طلابه ويحفزهم لاكتساب الخبرات .

٤ ـ ان يتمتع المعلم بخصائص اجتماعية وشخصية ايجابية مؤثرة فعالة ليكون قدوة لطلابه .

٥ ـ ان يكون مستوعبا الفلسفة التربوية لمجتمعه حيث يستطيع انتقاء الخبرات المعرفية لطلابه . التي تجعلهم يتشربونها ويقنعون بها ويعملون على تحقيق اهدافها .

ثالثا ـ الخبرات المعرفية او مادة الدرس :

لابد ان تكون هذه الخبرات المنتقاة المنظمة مناسبة لمستويات الطلبة واستعداداتهم وتكون وسيلة لتطوير قابلياتهم وبناء شخصياتهم بعيدة عن الخزن والحفظ بل تكون وسيلة تساعد الطالب لتطوير نفسه ومجتمعه .. ان المادة الدراسية التي يشعر الطالب بأهميتها وضرورتها له ولمجتمعه وتشبع حاجاته . وترضي دوافعه .. تكون ابعد الاثر في تكوين شخصيته وبنائها .

رابعا : طريقة التدريس :

الاسلوب الذي يتبعه المعلم في عرض الخبرات لابد ان يكون مناسبا لاستعدادات الطالب ، وطبيعة المادة الدراسية ومتمشيا مع الاهداف التربوية ليضمن افضل تعلم ..

ومما يوصي به رجال التربية بهذا الصدد هو ان يلجأ المعلم لاكثر من طريقة وينوع الاساليب التي يستعين بها في عرض هذه الخبرات داخل الصف ليضمن ارضاء الفروق الفردية في طلابه .

الخـــاتمة

بعد ان وضحنا كيف يسير المعلم داخل الصف في تنظيم عمليتي التعليم والتعلم والامور التي تساعده لتحقيق افضل تعلم لابد ان نذكر ان هنالـك امورا يجب ان يراعيها المعلم ومن اهمها :

١ ــ لا تعلم بدون دافع ... ان يعتمد ارضاء الدوافع فيما يعلم ويعتمد اثارة الدوافع الاجتماعية الايجابية نحو ما يعلم .

٢ ــ ان يستعين بالقوانين والنظريات التي جاءت بها نظريات التعلم عند عرضه الخبرات المعرفية .. فهناك مدح وثناء للطالب الجيد وهناك تشـــجيع وتحفيز للمتخلف .

٣ ــ ان يعتمد النشاط الذاتي للفرد المتعلم ، فالتعلم يسهل بالعمل والتدريب والتكرار .

٤ ــ ان يتوفر الجو النفسي الجيد للتعلم وان تكون البيئة الطبيعية داخـل الصف ملائمة لاكتساب الخبرات والمهارات ، وتتوفر فيها المستلزمـات المادية الاساسية لعملية اكتسابها .

المصـــادر

١ ــ التربية والسياسة ــ الدكتور الياس فرح ــ بيروت ١٩٧٥ .

٢ ــ اصول علم النفس ــ الدكتور احمد عزت راجح ــ الاسكندرية ١٩٦٠ .

٣ــ علم النفس التربوي ــ الدكتور فاخر عاقل ــ بيروت ١٩٧٤ .

٤ ــ مدارس بلا فشـــل ــ الدكتور جلاسر ــ ترجمة الدكتور محمد منير مرسي. ١٩٧٣ .

٥ ــ التربية لمجتمعنا الاشتراكي ــ محمود البسيوني ــ ١٩٧٠ .

٦ ــ جبل ورسالة ، عدد حزيران ١٩٧٥ ، ص ٤٢ . « علم النفس مع المدرس في غرفة الدرس » .

٧ ــ المدرس في المدرسة والمجتمع ، الدكتور ابو الفتوح رضوان ، ١٩٧٠ .